مراحل تطور التصوف الاسلامي:

أ ـ المرحلة الزهدية

المدرس المساعد : حسين رسن عبدالحسين

husseinraassn@uomustansiriyah.edu.iq

لم تظهر العلوم من الفراغ عادة ، بل لظهورها عوامل وعلل، وقد يحدث بظهور التصوف بعدة مراحل منذ نشأته الى يومنا هذا، حاله حال الكثير من العلوم التي بدأت ببدايات بسيطة ومع مرور الازمان والظروف عليه قد تطور وانتقل من حال الى حال آخر، ولكل مرحلة ظرفها الخاص المكون لمفاهيمه وسلوكياته ولهذا فان التصوف مذهب وطريقة مرنة ومتغيرة، وان نقطة بدايته كانت من الزهد والورع، ثم انتهى الى اكبر درجات المبالغة والغلو في اشكال عقيدة وحدة الوجود، ألا ان المرتكز الاساس للتصوف واحد وثابت ولا خلاف عليه وهي الاخلاق التي يستمدها من الاسلام ، وهي الجوهر في العلاقة بين الانسان وربه والمحيط الذي يعيش معه، فكان الاساس الذي بنى المتصوفة طريقهم ومسلكهم ، اذ يرون ان تحصيل العلوم سهل يسير من خلال ما تجده في الكتب اما الاخلاق فليست بالشيء اليسير لنيلها ، بل عسير ، اذ يلزمها الى ممارسات بدنية وروحية شاقة وصراع شديد بين الانسان ونفسه اذ ان للتصوف قيم اخلاقية الهدف منها صفاء النفس وسموها ، اذ يتطلب لذلك مجاهدات مادية وروحية معينة ، فدرجات الصعود والسلوك المعرفي يتم تحصيلها ونيلها من خلال الصبر والاصرار والعزم والمثابرة ، متخذا لذلك طريقا وسلوكا خاصا للوصول الى حالة اللا شعور والفناء والاتحاد في الحقيقة، حيث يصل الانسان الى حالة تسمى الكشف او الذوق بعيدا عن الادراكات العقلية، والحسية تكون بصورة انية كالومضة سريعة الزوال، ولهذا انشأ المسلمون علما شرعيا جديدا ومستقلا بذاته ومكملا لعلمي الفقه والكلام مستمدين له مصطلحات صوفية في بناء هيكله المفاهيمي والمعرفي من الالفاظ والمصطلحات المأخوذة من القران والسنة النبوية في احاديثه وادعيته ككلمات المقامات ومجاهدة النفس والزهد الى اخره من الكلمات الكثيرة، فكان للتصوف الاسلامي مرحلته الاولى التي اطلق عليها بمرحلة الزهد، اذ كان لا وجود حقيقي وفعلي لتصوف من آداب وقواعد، بل كان هناك افرادا قد تقربوا لله من حيث العبادات الروحية والابتعاد عن الملذات الدنيوية في المأكل والملبس، زاهدين ذلك في

سلوك اعتنقوه لحياتهم إذ نرى بذور الزهد الاولى موجودة في كل دين بل في كل عقيدة سماوية تحت معاني التقوى والايثار والفداء، بل في كل عقيدة وثنية او غير وثنية.

لم يبغي الزهد في الاسلام ان ينعزل الانسان عن الحياة مع الاخرين بالابتعاد عنهم وهروبه ، بل نراه يتفق في بعض الاحيان ان نرى الزاهد قد جمع سوية بين الغنى والزهد معا، اذ اصبح منهاج حياة له، وهذا ما نشاهده في شخصيات عدّة قد جمعة ذلك الا ان البعض يرى بأنَّ اصحاب الرسول(ص) والتابعين الذين ينتسب اليهم المتصوفة لم يكونوا الا عن زاهدين ومعرضين عن الدنيا ومقبلين عن الاخرة لا علم لهم بالسير والسلوك والتوحيد الصوفي.